ولها قوة فاعلة ولها نخوة تمنعها من ان تعتبر استصراخ محميها سبة على نفوذها اوثلمة فى كيان قدرها . ولا ريب انه اذا ما أرضى الايالة فى هاذا الضابط الذى أخرجته الشهوات عن دائرته وأبعدته الجدالات عن ماهيته فلا يزيد عمله هاذا فى قلوب الناس الامحبة فى شخصه الكريم وشكرا للدولة الماجدة التى يمثلها فى هاته البلاد ويمثلها نوابه النبلاء فى سائر الادارات أجمل تمثيل .

م

صفحة من التاريخ

تبلغنا من اديب مركشى هذا السؤال :

اعرف كثيراً من طلبتنا المواطنين ليس لديهم بعض معلومات عن الاصل التاريخى لمدينتهم المراكشية ولا عن بعض آثارها العتيقة النفيسة كجامع الكتيبيين ومنارته العظيمة ومؤسس ذاك من أبطال تاريخنا المجيد . فالرجاء منكم نشر شيء عن هذا الاثر الخالد على صفحات نشريتنا (مجلة المغرب) العزيزة فانكم ترسلون بذلك على عقول ناشئتنا شعاعا مضيئا يبصرون به حقيقة من حقائق تاريخ البلاد العزيزة ولكم الفضل

ونحن ازاء هذا السؤال رغم فقر أيدى ادارة المجلة الان من مواد الكتابة فى هذا الموضوع الذى يتطلب أخذ حقه من النظرية والتفلسف فى البحث عنه نكتب هذه الاجابة عليه كما تيسر منها لا كما تنبغى عليه فنقول مقتصرين على نقط السؤال

مراكش ويوسف بن تاشفين

بضم الميم وفتح الراء المشددة قبل الالف وكسر الكاف قبل الشين المعجمة سبب تسميتها بذلك على ما ذكره صاحب المعرب من ان أرضها كانت قبل الاختطاط مكمن أجناس اللصوص المتجمعين من أطراف الحوز لسلب الاموال ونهب الارواح وخفر الذمم . فكان الواحد يقول للمسافر بها مراكش ومعناه بالبربرية أمش مسرعا فعرف الموضع بهذا اللفظ

كانت هذه الارض ملك عجوز مصامدية هى التى باعتها لاجل أن تخطط مأوى يجمع اليه سواد الناس النظاميين ويشتت أخلاط الشرذمة المتلصصة الباغية . فكان الذى اشتراها من مالكتها العجوز الامير يوسف بن تاشفين الذى ما مرت على ظهوره زعيم امارة سنة أربع وخمسين وأربعمائة حتى وجد نفسه قد اطمأن طويلا فى تربعه على عرش المغرب وقد خفقت عليه الالوية وطأطأت اليه الرؤوس وخفتت عنده الاصوات ودالت له القبائل المجاورة والاطراف المتنافرة وتعبدت له مسالك الدولة والملك الكبير

فلا محالة اضطر فى حالته هذه الى تحصين العسكر وتأمين الحريم وحشد جميع الحاشية والغاشية فى مركز حربى يلم شعث القبائل الملتفة حوله و يكنز الذخائر الحربية والازواد والاقوات والمرافق واللوازم ليكون قد تحفز للحروب والغارات بعد أن تمكن من الاطمئنان على مركز العرش والامن الداخلى قبل كل شيء فاختط مراكش سنة ٤٥٤ و بنى بها القصور والدور والحوائط والصروح والمعاقل

قال ابن خلدون اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراكش لنزوله وانزول عسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها فى جبل درن اذ لم يكن فى القبائل أشد منهم قوة ولا أكبر جمعاً

بقيت مراكش بعد تخطيطها وبنائها اثنين وسبعين سنة غير مسورة الى أن أشار القاضى الفقيه المشهور أبو الوليد ابن رشد

بتسويرها على علي بن يوسف الامير عليها اذ ذاك بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين فأدار عليها السور فى خلال مدة ثمانية أشهر و بمقدار سبعين ألف دينار

يوسف بن تاشفين هذا هو رأس الدولة الملثمة و بانى ملك المرابطين أمير المومنين ناصر الدين (لقبه به الخليفة العباس المقتدر بالله) بطل مغوار وقائد حربى كبير جال وجلى فى ميدان الحروب وطاول وصاول السياسة كثيراً فدوخ البلاد وقهر الجبابرة وقمع العاثين وأمن الرعايا وعمر المدائن والقرى وجلب الراحة والامن لسكان المغرب أعواماً كان الفضل فيها له

من مناقبه الغراء الزاهرة أنه ملك المغرب الاقصى جباله وسهوله وتلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره وتعداه الى المغرب الاوسط ثم الى بلاد الاندلس التى كانت اذ ذاك منقسمة الى عدة ممالك صغيرة مستقلة ومنحطة الى آخر دركات الضعف العميق الذى كان قعد بالمعتمد بن عباد وأمثاله من ملوك تلك الممالك عن مناهضة قوات الفونص السادس عشر ملك أراغون الذى كان استولى من بلاد الاندلس على اشبيلية وطليطلة وسبتة وشدونه وغيرها

وحسبك من خطر شأن ذلك الامر الداهم أن يستصرخ منه جميع أهالى الاندلس بمثل يوسف بن تاشفين الذى حدث التاريخ أنه غار غيرته وشمر عن ساق نجدته فما نباله سيف ولا انهزم به جيش ولاعثر به جد حتى فتح قائده شير بن أبى بكر جميع بلاد الاندلس ورفع اليد العادية وجلى جميع ملوك الطوائف

ونحصل من أقوال التاريخ اجمالاً ان اصل دولة الملثمين فرع من اصل قبيلة صنهاجة احدى قبائل البرانس وان نشأتها الوطنية كانت فى مهامه صحارى البربر والسودان وان السلطة الروحيه عليها كانت لعبادة الاوثان الى زمن فتح العرب حيث أخذت عنهم دين الاسلام وان نوع نشوءها الحيوى كان على خشونة البداوة التامة من تمول الانعام وأكل اللحوم والالبان

كما نلخص من صفحات التاريخ ان يوسف بن تاشفين توصل الى عرش الامارة من طريق ابن عمه أبى بكر بن عمر اللمتونى الذى كان جلس على كرسى الامارة ست سنين بعد وفاة أخيه الامير يحيى بن عمر الذى جلس عليه ثلاث عشرة سنة كاملة وهذا أخذها من بعد الامير يحيى بن ابراهيم الكدالى الذى ملكه الملثمون عليهم بعد موت القائم فيهم الاول الامير العادل الفاضل محمد بن تيفاوت الذى ملك فقط ثلاث سنين

هذا ملخص عن هذه الدولة المرابطية التى عاشت من بين دول المغرب فى صحيفة يوسف بن تاشفين مدة ثمانين سنة هوت الى الانقراض فى أواخرها على عهد ولده علي بن يوسف بسبب ظهور محمد بن تومرت المعروف بالمهدى موسس دولة الموحدين

جامع الكتبيين وعبد المومن بن علي

قال ابن رشيد فى رحلته بعد كلامه على مسألة نقل المصحف العثمانى من قرطبة الى مراكش وفى خلال هذه المدة (اوائل العقد السادس من القرن السادس الهجرى) أمر عبد المومن بن علي ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله فبدأ ببنائه وتاسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الاخير سنه ثلاث وخمسين وخمسمائة وكمل فى منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والنجارة وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف بهذا الامد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة فى منتصف شعبان المذكور

ولا اخال فينا من يجهل عبد المومن بن علي الحازم السياسي الفصيح والعالم المحدث الاصولى الجدلى فهو السلطان الذى كان أمر بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى استنباط الاحكام من الكتاب والسنة وهو المنقول اليه المصحف العثمانى من قرطبة الى مراكش و بانى مدينة جبل طارق ومدينة البطحاء وهو الذى قيل انهما قصد بلداً الا فتحه ولا هزمت له راية فيما علم وهو الذى كان انتصر على الفونص ملك طليطلة ووجه الاساطيل الى الجزائر وتونس وفتح كثيراً من الثغور والمراسى والمدائن والخطوط وهو الذى طالما تفلسف مختلفوا الكتاب والمؤرخين قديماً وحديثاً فى عظيم أعماله و باهض سياسته

بالمغارب الثلاث

بويع بالامارة لعبد المومن بن علي بكتابة العهد بهـا له من مؤسس دولة الموحدين المهدى بن تومرت الذى نازل المرابطين فى وقائع استشهد فى بعضها من المقـاتلة ما ناف على مائة الف انتهت بتغلبه على المرابطين وقضائه على دولتهم بالمغرب وتأسيسـه على انقاضها دولة الموحدين التى استعمل فى سبيل تكوينهـا عدة تدبيرات وحيل ودعايات وأخيراً استخدم سلطة الدين الروحيـه عدا عن سلطة السيف بما كان لبسه من حلة الصلاح والاصلاح بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعبد والتخلق بكل ما يصدق دعواه المهدوية

كما أقامها فى سائر الناس أجمعين

وقال فى محل آخر وكان المنصور يشدد فى الزام الرعية باقام الصلوات الخمس وقتل كثيراً على شرب الخمر وقتل العمال الذين شكتهم الرعيـة وأمر برفض فروع الفقـه وأحراق كتب المذاهب وأمر الفقهاء بتخصيص الفتوى من الكتاب والسنة النبوية وأن لا يقلدوا أحداً من المجتهدين وان يستنبطوا احكام القضايا من الكتاب والحديث والسنة والاجماع والقياس

وقال العلامة الناصرى فى الاستقصاء كان يعقوب المنصور لما عزم على المسير الى الاندلس بقصد الجهـاد أوصى الى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش والاعتنـاء بتشييد قصورهـا ، فمن

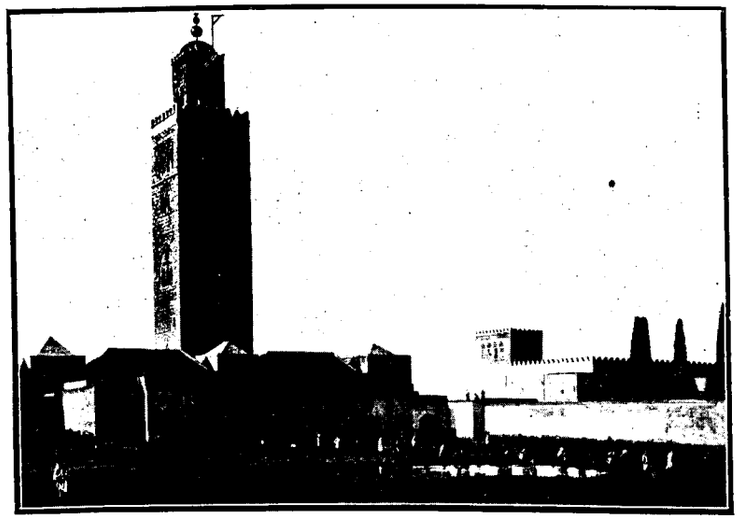

منارة الكتبية

يعقوب المنصور ومنارة الكتبية

قال ابن خلدون لما توفى الخليفة يوسف بن عبد المومن على حصن سنترين بويع ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبـد المومن ورجع بالناس الى أشبيلية فاستكمـل البيعة واستنفر الناس للغزو ومضى الى مراكش فبسط العدل وغير المناكر

وقال ابن خلكان بعد كلام لما مات أبوه اجتمع أشياخ الموحدين على تقديمه فقام بالامر أحسن قيام ورفع راية الجهـاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر فى امور الدين والورع وأقام الحدود حتى فى أهله وعشيرته الاقربين

آثارها الباقية بها الى الان بابها المعروف بباب الكتانيين ومنارجامع الكتبيين المضروب المثل به فى الارتفاع وعظم الهيكل

وقال ابن سعيد لما اجتاز المنصور هذا بمدينة سلا امر ببناء مدينة الرباط فاسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة واكمل سورها وركبت ابوابها وأمر ببناء المسجد الاعظم بطالمة سلا وببناء جامع حسان ومناره العظيم المضروب بهالمثل فى الضخامة وحسن الصنعة ولم يتم بناءه ولما فرغ المنصور من وقعة الارك واحتل مدينة اشبيلية اخذ فى اتمام بناء جامعها الاعظم وتشييد مناره المشاكل للمنـارين المتقدمين فهو ثالث الاثافى بالنسبة لهما بل قيل انه ليس فى بلاد الاسلام منار أعظم منه له ثمافيح من املح ما يكون

هذا وقد جاء فى مقدمة الفتح لابى جندار المؤرخ الاديب الرباطى رحمه الله كلام على صومعة حسان نثبته هنا بمناسبة انها كثالثة الاثلفى لمنارة اشبيلية والمنارة الكتبية وهو

(اللهم الا منارته المحكمة البنيان المتينة الاركان فانها لم يؤثر فيها توالى الايام وتعاقب الاعوام بل لازالت لابسة لحلل الجدة والبهاء سالمة من وقع عوامل الوهن والبلاء مزدانة بما أودعته يد الزخرفة على جدرانها من النقوش الرفيعة والاوضاع البديعة والتخاريم الرقيقة والزخاريف الدقيقة ومن العجيب ان حيطانها العظيمة الهائلة المتواصلة خصوصاً من داخل لا زالت فى غاية ما يكون من الجدة والسلامة حتى أنه ليتخيل للناظر أنها قريبة البناء حديثة التاسيس ومما يستحق أن يذكر أيضاً ان فى أحد جدرانها على يمين الصاعد نافذتين مقوستين بهندسة غريبة واتقان وأمامها بيت مربع فى جوف قطب المركز الذى تدور عليه جدران الصومعة فاذا سامتتهما الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما فى داخل البيت المذكور فى كيفية عجيبة على شكل خطين منحرفين مشتبكى الوسط متفرقى الاطراف ولم يدر الى الان ما هى الفائدة المقصودة فعسى أن تزاح عنها فى المستقبل ستور الخفاء حتى تتجلى لعالم الوضوح والمعرفة وقد وشح كشح هذه الصومعة من خارج باقواس نقشية عظيمة دائرة بوسطها ادارة النطاق بالخاصرة وعلى أحد جوانبها فى داخل تلك الاقواس منقوش على سطح حجارات الصومعة تمثال سيفين عظيمين مرفوعى الرأس لجهة السماء كانهما يشيران لعلو همة أربابها وشموخ انوفهم وطموح أبصارهم الى ما فوق السماء

كـ

حول القرويين

تحت هذا العنوان ننشر كل ما يبلغنا من الكتاب الاماجد فى كلية القرويين ولا ريب ان الامة كلها متفقة على أن هاته الكلية يجب أن تقوم بالغاية الشريفة التى اسست لاجلها وان توفى بواجبات ماضيها الذى سبق للقراء ان شاهدوا صورة بهيجة منه فى مقالة ممتعة بالعدد السابق وان كان هناك تباين بين الافاضل الذين يتناولون هذا الموضوع الهام فى الطرق التى توصل الى الضالة المنشودة فالرجاء منهم عند الاعراب على أفكارهم أن يحترزوا غاية الاحتراز من الرمز الى الشخصيات وأن يكتبوا للامة وصالحها لا لفريق دون فريق وأن يبذلوا الجهد فى استعمال اللهجة الهادئة التى تناسب المقام وجرى عليها الماجد صاحب مقالة ﴿ ماضى القرويين ﴾ فاننا محتاجون الى الالفة والمحبة بيننا محتاجون الى الاتحاد وأقدس المهمات التى يتطلبها الوطن من ابنائه الكرام العمل لنبذ التفرقة وموالاة الجهود فى سبيل الاتحاد والوئام اذ لا يستقيم لنا حال الا اذا صرنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ولا ينجح لنا أمر الا اذا كنا ذاتا واحدة وقلبا واحداً وفكراً واحداً. وما ذلك على الله بعزيز هذا والى القراء مقالة وصلتنا من العالم الشاب سيدى محمد الصديق الفاسى فى نفس موضوع القرويين الذى فتحنا له هذا الباب من المجلة

المصالح والشخصيات

حياتنا يتنازعها عاملان حب المصالح ، وحب الشخصيات وهما عاملان متعاكسان . يحاول عبثا من يريد الحصول عليهما معا سعيا فى ايجاد نهضة من النهضات. ولسنا نقصد بالمصالح الانتفاعات الذاتية الخاصة فانها مساوية لمدلول كلمة - غرض - أو - شخصية - وانما نريد ان نفهم منها تلك الفوائد المشتركة التى تهم الامة فى معترك حياتها وتكون عونا لها على تحقيق اعمالها ومتمنياتها . فهاذه المصالح هى التى اذا اجتمعت مع أى شائبة شخصية كانت سببا فى